ـ يا إلهي، يا إلهي، دائما ما يأتي جنونك في الوقت الخطأ!

انتحى جانبا من القاعة وجلس. أغفى قليلا على ما يبدو، ثم جفل منتبها على جلبة مفاجئة. كان الموسيقيون بدءوا عزفهم، ثم رافقهم مغنٍ له شعر مستعار. بحث عن شهرزاد. همس في أدنها: «سأذهب إلى المقهى، بإمكانك أن تناديني قبل نهاية الحفل بقليل»، قالت: «حاضر يا جدي»، ضحك وقبلها. بدت له كورقة مغمضة تتفتح فتكشف ببطء عن لونها الممزوج بأصفر الشمس، تفصح عن أخضرها البهي في محيط من الأوراق القديمة الداكنة. بلسم شهرزاد، الأدق، نسمة هواء في مكان خانق. الملابس والحلي والأصباغ، والحزام القماشي العريض الذي يلفه العريس على خصره، وباروكة المغني، وآنيّتا الزرع على رأسي شقيقتيّ وصخب الموسيقى، كلها تثقل صدري، كأنني حشرت في مخزن مسرح قديم أختنق فيه بالهواء الفاسد والغبار والملابس القديمة والأدوات الزائدة عن الحاجة.

هرب إلى المقهى.

توقف أمام الصورتين. لوحتان زيتيتان كبيرتان بنفس الحجم. صورة الإمبراطورة، وصورة للإمبراطور، تحكمهما فكرة واحدة، وأسلوب واحد في التشكيل والتلوين. ربما أراد المصور، أو كلّفه القصر، بأن تكوّن اللوحتان وحدة واحدة ليتم تعليقهما معا متجاورتين على نفس الحائط. الإمبراطورة في ثوب أبيض فضفاض، على رأسها تاج من ماس، وإلي يمينها، على طاولة صغيرة بارتفاع اليد، تاج آخر من الذهب المرصع بالجواهر مستقر على وسادة مخملية حمراء. تاج مشابه، أكبر، في الصورة المجاورة، إلى يمين الإمبراطور، على وسادة فوق مائدة. يظهر الإمبراطور في الصورة كاشف الرأس، شعره الأشقر مفروق من الجهة اليسرى. شاربه كث يمتد طرفاه المبرومان بعرض وجه مستطيل. جسده ممشوق، على صدره وشاح تزينه